العرب
السبت 2019/11/09
السنة 42 العدد 11523

المقالات التحليلية الطويلة طوق نجاة الصحافة المطبوعة

الصحف فشلت في إيجاد طريقة تجعل النموذج الرقمي مكملا للنموذج المطبوع

كيف نحافظ على مستقبل الصحافة المطبوعة، سؤال بدأ الصحافيون مؤخراً في تقديم إجابات عنه. ومن بين الإجابات المقدمة أن الطباعة مثالية لنشر النصوص الطويلة، إذ يفضل العديد من الأشخاص تقليب الصفحات بدل قراءتها على الإنترنت.

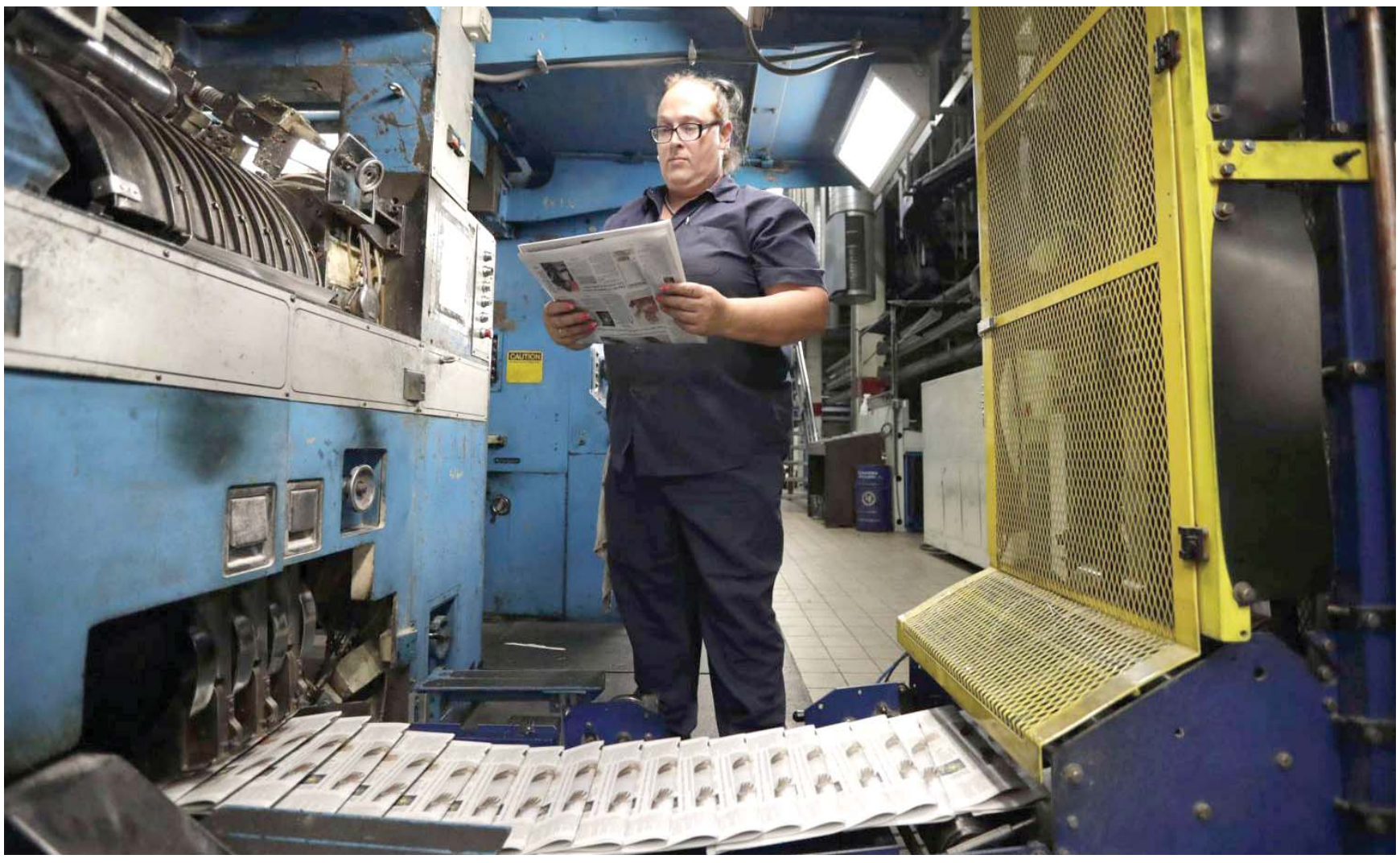

ننشر ما يريده القراء

نيويورك - الصحافة في ورطة، يجادل عدد من الصحافيين مشيرين إلى أدلة تؤكد نهاية الصحافة المكتوبة كما ألفناها.

في الوقت نفسه، كان تقرير مولر المعروف في الدوائر الرسمية باسم التحقيق في التدخل الروسي في الانتخابات الرئاسية الأميركية سنة 2016، والذي توافد عليه الجمهور، كتابا مطبوعا.

يمكن لأي شخص أن يبحث عن التقرير لقراءته مجانا عبر الإنترنت، فلماذا دفع البعض ثمن النسخة المطبوعة؟ دفع هؤلاء أموالهم للسبب نفسه الذي جذبهم لقراءة تقرير اللجنة الوطنية للتحقيق في الهجمات الإرهابية على الولايات المتحدة في 11 سبتمبر وتقرير ستار عن بيل كلينتون، وهما وثيقتان عامتان متاحتان على شبكة الإنترنت مجانا لكنهما من المناشير الأكثر مبيعا في نسختهما المطبوعة.

الجواب، وفق الصحافي تيد رال "تسهل قراءة النصوص الطويلة مطبوعة".

حمّل العديد من القراء تقرير مولر على أجهزتهم الإلكترونية. وكما برز من نجاح الكتاب المطبوع، كان العديد من الناس مستعدين لدفع الأموال لتجنب إجهاد أعينهم عند استخدام شاشة صغيرة لقراءة نص يمتد على أكثر من 400 صفحة. ويشير هذا إلى مستقبل الصحافة المطبوعة.

خلال سبعينات القرن الماضي، نشرت المجلات الإخبارية الأسبوعية مثل التايم ونيوزويك تحاليل مطولة للقصص التي نقلتها الصحف اليومية في الأسبوع السابق لإصدار أعدادها. كان المراسلون في الصحف الأسبوعية يجرون بحوثا عميقة مما يساعدهم على اكتشاف تفاصيل جديدة وتفسيرها لقرّائهم حتى يدركوا السبب الذي يجعل الخبر مهما. وقرأ عشرات الملايين من الأميركيين هذه الإصدارات فور توفرها.

ومع تطوير شبكة الويب في التسعينات، انحرفت الصحف الإخبارية عن مسارها، إذ رأى المحررون في انتشار شبكة الإنترنت إثباتا لافتقار قرّائهم القدرة على التركيز، مما دفعهم إلى خفض عدد الكلمات في محاولة لجذبهم. أصبحت القصص أقصر وأقل.

لذلك، توقف الناس عن القراءة. لماذا يدفع القارئ للاطلاع على نفس المحتوى الذي يمكنه الحصول عليه عبر الإنترنت مجانا؟

المقال الطويل هو المستقبل

اليوم، تزدهر مجلات مثل النيويوركر وذي إيكونوميست لأنها حافظت على التزامها بنشر المقالات التحليلية الطويلة، وهي أبرز فنون المقال الصحافي، التي تفصّل القضايا المستمرة. عند شرائها، لن تجد أي دليل على توفرها على الإنترنت. تُشبّع المقالات بعدد كبير من الكلمات، وتتخللها رسوم توضيحية مرسومة باليد أحيانا. ويمكن أن تصل بعض التقارير إلى 10 آلاف كلمة.

وعلى الرغم من أنها تشكل تحديا، فإن هذه الأنواع من القطع الطويلة والمتعمقة تعدّ جزءًا حاسمًا من الصحافة. وقال أوكتافيو إنريكيز هو صحافي استقصائي، وفائز بجائزة أورتيغا واي غاسيت عام 2011 وجائزة ملك إسبانيا عام 2014، "من أسوإ الكوابيس لي أن تبلغني يوما ما إحدى الصحف أنه لن يكون لديها الوقت لنشر قصص طويلة ومتعمقة، وأن كل شيء يجب أن يكتب بسرعة وعلى عجل". وأضاف "بالنسبة لي، قصة جيدة تساعدك على التفكير وأحيانا نحن بحاجة إلى وقفة ونرى كيف يعمل كل شيء من حولنا، والصحافة لا يمكن أن تعمل من دون هذا النوع".

وتقول أرقام إن الصحف أصبحت تنشر مواد طويلة بمعدل أقل بـ85 بالمئة مقارنة بما كانت تنشر قبل عقدين من الزمن.

قال الكاتب المالي دين ستاركمان إن الانخفاض يعود إلى "الخسارة في المعرفة العامة". ويبدو أن نشر قصص طويلة أقل كأنه رد طبيعي على النقص في الدخل، والحاجة لطباعة صفحات أقل على ورق الصحف الباهظ الثمن.

من جانبه، يشير أستاذ الصحافة جيف جارفيس بأن طول القصص ليس عاملاً محددا للجودة في ملامح صحيفة اليوم، إذ قد تكون هذه المقالات المطولة المنشورة قبل عقدين من الزمن سخية أكثر من اللازم أو أنها جذابة للجوائز.

الحقيقة أن الصحف تعمل اليوم في حقل أوسع بكثير مما اعتادت عليه سابقاً ما يجعل المنافسة أكثر أهمية.

ماذا يريد القراء

قال مؤسس شركة آبل الأميركية ستيف جوبز عبارة شهيرة "العملاء لا يعرفون ما يريدون". يمكن تطبيق نفس الشيء على القراء. لذا نستنتج: لنتوقف عن السؤال عما يريده القراء ونبدأ بالسؤال عمّن هم، وكيف يتصرفون عند قراءة مواد طويلة؟

وعلى الرغم من تنبؤات الخبراء، لم يقتل التلفزيون الراديو لأن المتابعين لم يستطيعوا مشاهدة التلفزيون أثناء القيادة أو تنظيف المنزل. وتعتبر الطباعة مثالية لنشر النصوص الطويلة، إذ يفضل العديد من الأشخاص تقليب الصفحات ويرونه الخيار الأفضل لأعينهم.

تبقى المطبوعات وسيلة لجمع الأموال إلى اليوم. ومثلما كان الأمر خلال سبعينات القرن الماضي، يقرأ الناس الصحف اليومية للاطلاع على الأخبار العاجلة ويشترون المجلات الإخبارية لقراءة التحليلات الطويلة. وعند وقوع حدث ما، يقرؤون عنه على أجهزتهم المتصلة بالإنترنت فور حدوثه. وتعمل المنافذ الإخبارية المطبوعة على توفير التحاليل اللازمة بعد انتشار الأخبار. وتشمل الرسوم البيانية التي يتطلب إعدادها أياما.

ويقول بافيت إن الصحف "لم تتوصل إلى طريقة تجعل النموذج الرقمي مكملا للنموذج المطبوع". وطردت بعض الصحف المفكرين المتمتعين بخبرة في مجال تحرير الأخبار ووظفت البعض من أبناء جيل الألفية الذين يعتقدون أنهم يستطيعون أن يجذبوا القراء للاشتراك برواتب أقل. ويجب أن تدرك الصحف أنها ستخسر الكثير، إذ لن يدفع أحد لقراءة نفس الأخبار التي اطلعوا عليها بالأمس مجانا على هواتفهم.

> **الصحف أصبحت تنشر مواد طويلة بمعدل أقل بـ85 بالمئة مقارنة بما كانت تنشر قبل عقدين من الزمن، وفق إحصائيات**

سيمحو الزمن أولئك الذين لن يروا هذه الحقيقة في الوقت المناسب. وستعوضهم أجيال جديدة من المنافذ الإخبارية المطبوعة المخصصة للتحليل والتعليق الطويل.

إلهام صحافي متأخر من احتجاجات لبنان والعراق

كرم نعمة
كاتب عراقي
مقيم في لندن

ما الذي ينبغي لنا كصحافيين استلهامه من احتجاجات لبنان والعراق؟ يبدو أننا بحاجة فعلية للتخلص من الدور التاريخي المناط بنا والذهاب أبعد لاكتشاف مساحة غاية من الأهمية متعلقة بجوهر الصحافة أيضا.

تغطية الاحتجاجات والبحث عن زاوية جديدة في نشاط المحتجين والكتابة عن توقهم وآمالهم ودموعهم وغضبهم، صارت متاحة للجميع، فالمواطن الصحافي يلتقط هذه الأفكار وصورها وينشرها من الميادين. بل صارت وسائل الاعلام تلجأ إلى المواطن الصحافي في تغطية الاحتجاجات إثر المنع الحكومي والقمع والمصادرة التي طالت المراسلين المعتمدين.

أرى أن الإلهام ينبغي أن يكمن في إعادة التفكير بقراءة أين تمضي الأمور والبحث عن معطيات واقعية تدافع عن هذه الفكرة، وليس مجرد انتظار الحدث للكتابة عنه.

لقد فات على الصحافة قراءة كوامن الشارعين اللبناني والعراقي ومساعدة الرأي العام بما يمكن أن تؤول إليه الأمور، وهذا لايعني مجرد عملية توقع أو تنبؤ وعرض سيناريوهات محتملة، وإنما عرض وقائع ومعطيات موجودة على الارض في بغداد وبيروت، للأسف لم تلتقطها عين أذكى المراسلين.

لماذا لم ير أي من الصحافيين في العراق جيل التوك توك، وانتبه إليهم بعد أن صنعوا ثورتهم، كم سيكون باهرا لو صنعنا قصة من شباب التوك توك بوصفهم الحل المقترح والمتاح عندما تغلق السلطات الطرقات أمام المركبات والمحتجين؟ نكون بذلك جسدنا الفكرة المثالية لجوهر الصحافة. لقد فاتت على أبرع الصحافيين مثل هذه القصة وما إلى ذلك من القصص التي قادت الجموع إلى ميدان الحراك.

يبدو لي أن المقولة التاريخية بشأن أن تكون الصحافة أول من يحضر وآخر من يغادر مواقع الحدث، لم تعد مفيدة بما يكفي، إن لم تصل متأخرة أو تكون غيرة جديرة بالوفاء أو قد تحدث ضررا، لأن هناك ما يسبقها اليوم في الحضور بعد أن فشلت في السباق مع الجيل الرقمي، وصار دور الصحافة متأخرا عن جيل فيسبوك وتويتر، "إنهم حاضرون دائما بينما نحن متأخرون دائما" لذلك نبقى نبحث عن التداعيات ودلالتها في محاولة لصناعة فكرة جديدة لا نوفق فيها على الأغلب.

المقولة التاريخية بحاجة إلى أن تتغير بطريقة ألا تكتفي الصحافة بفرض ديمقراطية حرة من تبادل المعلومات، بل يتوجب عليها أن تصنع أفكارها وتقرأ أفكار الشارع بشكل دقيق وفق معطيات حقيقية لتساعد الجمهور في الترقب ومعرفة ما ينتظرهم، وهذا ما غاب على وسائل الإعلام برمتها عندما فشلت في التوصل إلى ما نجح به جيل باهر في العراق ولبنان وهم "يصنعون وطنا".

من الأهمية بمكان أن نعيد التفكير بالانتقاد الشديد والشعور بالازدراء والحنق على مواقع التواصل الاجتماعي، ونعيد علاقتنا كصحافيين مع فيسبوك وتويتر، لقد لقيا من الازدراء منا ما يكفي، بينما هما المصدر الحقيقي لجيل صنع حياته التي يرتضيها رافضا الخضوع لمختطفي البلدان من السياسيين والأحزاب الفاسدة.

لم تكن الصحافة منصة ثورة اللبنانيين والعراقيين، بقدر ماكان فيسبوك وتويتر، مع أن الحكومات حولت الإنترنت إلى كابوس للمراقبة والاستهداف والحجب.

مزاعمنا كصحافيين بشأن الاحتيال والأخبار المزيفة التي تضج بها وسائل التواصل الاجتماعي، تكشف عن فشل مجهرنا في تقصي الحقيقة. يكفي أن يكون الصحافي من الدقة والبراعة والتفكير النيّر ليميز صحة ما ينشر، وهنا ينتهي الحال أمام الأخبار المزيفة لتكون في سلة المهملات. هناك كم رائع من الحقائق نشره جيل مذهل على فيسبوك أعاد الأمل وينبغي أن نحتفي به ونشير إليه ونستلهم منه في صناعة محتوى صحافي متميز.

احتجاجات العراق ولبنان منحت فيسبوك وتويتر صكوك نجاح وتقدير وجعلت من ازدرائهما إشارة لا أهمية لها تقبع في الهامش، فالمتن ما تصنعه كلمات وصور وفيديوهات المحتجين في الميادين.

> **لقد فات على الصحافة قراءة كوامن الشارعين اللبناني والعراقي، وهذا لا يعني تنبّؤ وعرض سيناريوهات محتملة، وإنما عرض وقائع ومعطيات موجودة على الأرض، للأسف لم تلتقطها عين أذكى المراسلين**

صحيح أن إدارة مارك زوكربيرغ تعمل وفق مصالحها كشركة تجارية وتفكر بالحكومات والدول أكثر من المستخدمين، لذلك تعمل على حماية الحكومات أكثر من إتاحة المزيد من حريات التعبير وإيصال المعلومات للمستخدمين عبر فيسبوك، لكن ذلك ساعد أيضا على إساءة استخدام سلطة الرقابة من قبل الحكومات، وشجع الحكومات على اضطهاد حرية المستخدمين والمدوّنين النشطاء.

في النهاية، ما يعنينا أكثر كصحافيين هو الإلهام الذي تأخر علينا مما دوّنه جيل تعلم كثيرا من أجهزته الرقمية الصغيرة، أكثر مما علمته مدونات ضخمة نشرتها وسائل الإعلام واحتوتها متون المطبوعات.

ينبغي لنا كصحافيين أيضا أن نعيد تعلم الدرس المكرر في علاقتنا مع الحكومات، لقد تجسد هذا الدرس بامتياز في موقف السياسيين العراقيين واللبنانيين على حد سواء ووجدنا الكلام الذي ينطقه الزعماء والوزراء في بيروت يكاد يكون نسخة طبق الأصل يتكرر في ما يعلنه سياسيّو المنطقة الخضراء في بغداد. ذلك إلهام آخر يوفّره درس الاحتجاجات للصحافيين.

فكرة ضريبة الكلام المجرد التي يدفعها السياسيون لم تعد ذات أهمية بالنسبة للرأي العام وهذا ما يفسر لنا النقمة التي اجتاحت المدن العراقية واللبنانية، وحتمت علينا مغادرة دور الناقل المطيع لكلام الحكومات، هناك أكثر من ذلك علينا كصحافيين استلهامه والعمل عليه. علينا تقويض الفكرة السائدة عن كون الصحافة مجرد وسيلة بيد السلطة القائمة تخدم مصالحها، ذلك ما يذهب إليه الكاتب سيمون كيلنر مفترضا أن العلاقة بين الحكومة والصحافة يجب أن تكون صريحة، لأن دور كل طرف منهما واضح، فالحكومة هي النخبة والصحافيون يمثلون المعارضة للسلطة القائمة. لكن ذلك لم يحدث لا في لبنان ولا في العراق عندما وضعت الحكومات الصحافيين كعدو مفترض يتواجد بين المحتجين، فصودرت وسائل إعلام وطورد مراسلون وقتل بعضهم في العراق، فيما لم يجد صحافيون لبنانيون شجعان غير تقديم استقالاتهم عندما شعروا أن كرامة الصحافة هدرت بالتلفيق وإخفاء حقيقة ما يحدث في الشارع.